مراجعات

أبو سلمى ، من فلسطين ريشتي (دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧١)

شعر أبي سلمى شعر حزين ، أولا ، وشعر موجه ، ثانيا . موجه توجيها تلقائيا — كما هي عادة « الشعر الوطني » في كل مكان — يغني الارض ويشيد بها ، ويغني الابطال ، ويشيد بهم . ويتجه حيث الحق كما يراه ، وحيث العدالة ، كما يراها . وهو شعر فيه هجاء المرارة ، لا هجاء الطبيعة والسليقة . ولقد هيأت ظروف الامة التي ارتبط بها الشاعر ارتباطا واضحا — لهذا اللون من الشعر الهجومي ، لا عند الشاعر فحسب ، بل لدى الجيل المعاصر له جميعه .

أبو سلمى ، يواجه السلطة ، ضد السلطة حيث تكون ، ويأخذ مكانه بين الشعب حيث يكون لمواجهة السلطة . بهذه البساطة التي ألفناها عادة في شعر الوطنيات ، والذي ارتفع ، شأنه شأن الهاجس الوطني في بدايات النهضة العربية ، ومرحلة الاستقلال . وسيكون أبو سلمى بهذا ، البقية الباقية ، من هذا الضرب الحماسي التقليدي المشرف ، من الشعر الوطني . لا شك انه كان لابي سلمى مجد ، فيما يتصل بالمسألة الفلسطينية ، والمسألة القومية العربية . بالقدر الذي تغنى بمجد الارض ، تغنى فيه بمجد العروبة ، وبالقدر الذي أدان فيه الملوثين بالسكينة ، أدان أيضا دعاة التجزئة والانفصال ، ورجال القوة من العسكر ، ولكن الى جانب هذا ، هل كان لابي سلمى الوعي الاجتماعي ، الذي يواكب مواكبة فاعلة ، الوعي الوطني ، كما كان للشاعر محمد مهدي الجواهري على سبيل المثال؟ ببساطة نستطيع ان نقول : لا . فلابي سلمى تلقائية « الشاعر الوطني » ، فحسب ، لا رؤية ووعي « الشاعر الاجتماعي » ، ولقد وضح ذلك في مجموعته الاخيرة التي صدرت عن دار الاداب ، بعنوان : « من فلسطين ريشتي » .

نحاول في البدء ان نتعرف على ابي سلمى عبر « مقدمتين » كتبتا لمجموعته هذه ، الاولى للشاعر الكبير « بدوي الجبل » ، والثانية لشاعر المقاومة « محمود درويش » . يرى فيها الاول ان حزنها على فلسطين حزن هادىء وجميع ، « انه حزن الثاكلات لا حزن النائحات » ، والكلمة الصغيرة هذه تقليد أدبي ، لا تقييم ادبي . في حين كانت كلمة « محمود درويش » ، الغنية بجمالها وعمقها ، هي الاخرى ليست تقييما ، ولكنها شهادة . تقول لابي سلمى : « انت الجذع الذي نبتت عليه أغانينا .. أفرح بك يا قطعة من وطن ترحل وتحوم على العش المحرم .. نحن امتدادك وامتداد أخويك اللذين ذهبا — ابراهيم وعبدالرحيم محمود الذي قاتل بالكلمة والجسد .. اننا ابناؤكم ... لقد كنت شاعر المقاومة قبل اكتشاف النقاد لهذا التعبير ، وقبل تحوله الى تعبير شائع ، يحدثنا آباؤنا عن ثوار فلسطين الذينَ كانوا يحملون سلاحين : البندقية والقصيدة . وكانت القصيدة لك . من ينسى غارتك الشجاعة على عروش الملوك ، يوم كان الشعر نديما للملوك ؟ من ينسى أغانيك ووقفاتك اليسارية عندما كانت اليسارية مغامرة توصل الى المشانق ، وتحرم الناس من رحمة الله؟ يسمونك الشاعر المشرد ، وأسميك العاشق المشرد ، العشق أولا ، والشعر ثانيا . من لا يعشق لا يحسن الغناء ، ومن لا يعشق لا يحسن القتال . الحنين قد يؤدي الى التراخي ، ولكن حنينك ليس سلبيا ، ليس انهزاميا ، وليس تسلية جادة . انه حنين فعال : حنين المواطن وحنين القاتل وحنين العائد » .

لعل أول سمة تواجهنا في شعر « أبي سلمى » الاخير ، بعد ان نستثني قضيته الاساسية فلسطين الذي يدور عليها دون كلال — هي ، عشق الارض . ولكن هذا العشق يختلف عن ذلك العشق الذي تعرفنا عليه عند محمود درويش وجيله من شعراء